تخصص الفلاسفة ولفتهم حجبت صور الظواهر الاجتماعية في المذاهب الفلسفية المختلفة

تتضح مما تقدم علاقة الفلسفة بالعلم والتفكير والمجتمع. أما علاقتها بالتربية فنراها انه اذا كانت الفلسفة هي اتخاذ موقف عملي عام من الحياة، والتربية هي تكوين الميول الاساسية نحو الطبيعة وبني الانسان أي نحو الحياة، فالفلسفة هي النظرية العامة للتربية. وكل تغيير تشير به الفلسفة يتوقف على تأثير ما فيه من تربيـة أي على مدى تغييره العقل والخلق. فالتربية هي معمل تتجسم فيه الفروق الفلسفية وتختبر. وليست فلسفة التربيـة اذن تطبيقاً للآراء الفلسفية على التربية ولكن هي تحديد المشكلات الخاصة بتكوين العادات العقلية والخلقية الصحيحة وبيان علاقتها بمشكلات الحياة الحاضرة

﴿ البرجماتزم ومعارضة الثنائيات ﴾ بعد ان عرفنا رأي ديوي في الفلسفة ننتقل الى دراسة فلسفته الخاصة: كانت النزعة العملية كامنة في التفكير الأميركي حين خضع منذ بدايته لمؤثرات الفكر الاوربي حتى اذا ما انتشرت الحركة الصناعية في أميركا ظهرت فلسفة عملية جديدة تمثلها، ويمدّ جيمس وديوي وشلر بخير من يمثل هذه النزعة الحديثة التي عرفت بالبرجماتزم، ولن يكن ديوي لا يمثل ناحيتهـا المتطرفة الا في نظرية المعرفة. والبرجماتزم تخضع كل شيء للعمل فالتفكير خاضع للارادة والحقيقة خاضعة للعمل، ومعيـار الحقيقة هو صلاحيتها للعمل، والمعرفة نوع من العمل بل هي تنشأ منهُ. وعلى ذلك فهي تنكر وجود القيم النهائية والمطلقة والذاتية التي تقول بها المثالية القائمة على أن هذه القيم صور من طبيعة الوجود كالحق والجمال.. الخ. وكل حقيقة عند اصحاب البرجماتزم لا تقبل على أنها مطلقة بل لا بد لها من ان تحدد ولا بد أن تراجع من حين الى آخر. ثم هي وسيلة عابرة لغرض ما. فالقانون الخلقي الذي قال به كانت وسماهُ الأمر القاطع impératif catégorique تنكره البرجماتزم وتراه وجوداً سابقاً لذاته. ومعيار العمل الصالح عندها هو الاتفاق الاجتماعي أو العرف. وتعتمد اصحاب البرجماتزم في سيكولوجيتهم على التفسير البيولوجي للحياة الذي يعد الجسم والعقل وحدة تفسرها قوانين واحدة. وهو التفسير الذي تتبعـهُ برمتي ان باستخدامه مصطلحات تشمل الجسم والعقل معاً

﴿ نقدها ﴾ يسهل على المثاليين بل على المتطرفين كبرتراند رسل نقد البرجماتزم فهي عندهم تعارض الدين وعقيدته في الثبات والخلود والالهية وتعارض الفن والثقافة لأنهما كما تعارض القانون الاخلاقي. ويرون أن السلوك الخلقي شيء آخر غير الآداب الاجتماعية القائمة على العرف وأنه يمكن أن يكون المجتمع منظماً دون أن يكون روحه خلقيًّا. وأن تقدم المجتمع يؤدي الى التشكّ بالمثل التي تعتقد وجوده في الأفراد. وان الانسان الأصل

يستوحي ذاتهُ دون أن يعبأ بالمجتمع وأنهُ مهما تكن القيم مباشرة فهي بداية لسلسلة من القيم تنتهي حتماً الى قيم نهائية ذاتية. وسيكولوجية البرجماتزم في اعتمادها على التفسير البيولوجي للحياة قد اعتمدت على اشياء لم تثبت صحتها بعد لأن الكثير من الوظائف الدنيا الى العليا لا يزال يرفضه كثير من البيولوجيين فليس هناك ما يقابل الفن أو الخلق أو الدين من الناحية البيولوجية وليس هناك حيوان آخر كالانسان الا الانسان نفسه، فهو لا يتعلم بالعمل دون غيره كالحيوان ولذلك وجب ان ينفصل علم النفس عن البيولوجيا كما انفصلت البيولوجيا عن الطبيعة

﴿ ديوي ومعارضة الثنائية ﴾ على أن ديوي يفترق هنا عن البرجماتزم الاصيلة التي لا تفرق بين التعلم بالعمل عند الانسان والحيوان فهو يرى ان التعلم بالعمل عند الانسان غيره عند الحيوان ولذلك بحث مشكلة التفكير الانساني ولكنه يرى في الوقت نفسه أن طريقة البحث المتبعة في العلوم الآلية الصناعية تصلح للكشف عن المبادىء العلمية والخلقية وحل لغز الوجود ولذلك عرفت فلسفته « بالوسيلة العملية او التجريب » Experimentation or Pragmatic Instrumentalism واقترح Rusk ان يطلق لفظ Technosophy على هذا المنهج . ولكن هذا المنهج الآلي العملي لا يمكن ان يطبق في الفلك او الرياضة او الوراثة الانسانية أو في كشف مبادىء الجمال . وقد أدى الاستنتاج الى كشف خواص وقوانين علمية كثيرة . وعندي ان خير ما يميز فلسفة ديوي هو نزعته المضادة للفلسفات الثنائية حتى يصح لنا ان نطلق على فلسفته Anti-dualism او Non-Dualism ان جاز لنا ان نطلق عليها اسماً سلبيًّا فقد كان أرسطو يتوسط بين النقيضين كما في رأيه في الفضيلة . أما ديوي فانه يبين لنا في براعة ان التناقض نفسه لا وجود له ولا أساس له من الصحة . فليس هناك تناقض بين الفرد والمجتمع او بين العقل والعالم أو بين المعرفة النظرية والمعرفة العملية او بين الباعث الخلقي والعمل الخلقي . وفي التربية لا تعارض بين المدرسة والمجتمع او بين المادة والطريقة أو بين مواد الثقافة والصناعة أو بين الاهتمام والجهد او بين الحرية والنظام وهكذا

وقد بين ديوي مواضع الضعف في جميع النظريات الفلسفية التاريخية كنظريات افلاطون وارسطو وفلسفة المدارس : المنطق الشكلي والتدريب وانتقاله ، والمذاهب الحديثة كالعقلية والاحساسية والمثالية وغيرها كما نقد آراء روسو وكانت وهربارت وفروبل ووفق بينها جميعاً في فلسفته . وسنعرض بالايجاز لما يهم التربية منها

﴿ نظرية المعرفة ﴾ لكي فلسفة نظريتها في المعرفة . وقد ساد في الفلسفة اليونانية والوسيطة التفريق بين المعرفة والعمل او الخبرة باعتبار ان الخبرة مصدرها الحواس وتتصف بالتنوع والمادية أما المعرفة فمصدرها العقل وتتصف بالوحدة والثبات . وقد أرجع ديوي

هذه التفرقة الى أسباب اجتماعية حين عمدت الفلسفة اليونانية الى العقل لتقد عادات المجتمع التي عدتها ممثلة للخبرة المضطربة ومناقضة للمعرفة العاقلة التي هي وحدها اليقين حتى دعا افلاطون الى حكم الفلاسفة لتحقيق الوحدة والنظام والعدالة

ولما ظهر التجريب واستخدام الاستنباط كوسيلة للمعرفة وللاستيثاق من صحة القديم وكشف الجديد لم تعد الخبرة تلك المعلومات المضطربة المناقضة للمعرفة العقلية او العاقلة بل أصبحت هي فهم الضوابط في سير العقل ووسيلة لبناء الحقائق على الاشياء ، وعُدَّ العقل مستقلاً بحثاً وبذلك ظهر المذهب الاحتمالي التجريبي وأصبحت المعرفة مهمة لذاتها

ولما ظهرت شخصية الفرد في شؤون الدين والاقتصاد والسياسة زاد ما له من شأن في الحصول على المعرفة ولكن اختلفت المذاهب الفلسفية في تقدير نصيب الفرد وحقه في الحصول على المعرفة كما هو واضح في المذاهب العقلية او مذهب اللذة او فلسفة هيجل وكلها تصف الثنائية بين الفرد والمجتمع وتفصل بينهما كما حدث في التربية . ووفق ديوي توفيقاً كبيراً في نسبته الى كل من الثنائيات ما يقابلها من مزايا في الاجتماع والفلسفة والتربية فالثنائية التي تفصل بين التجريب (Empiricism) والمعرفة العقلية مثلاً تتفق مع الفصل الاجتماعي بين الطبقة العاملة (التجريب) والطبقة العالمة (العقل) وهي كذلك تتفق مع الفصل الفلسفي بين الخاص (التجريب) والعام (العقل) ومع فصل التربية بين تعليم الحقائق المفردة والقوانين العامة . وهكذا الحال في كل فلسفة ثنائية . وعارض ديوي هذه الثنائيات في المعرفة بمذهبه في «الاستمرار» وبناه على نتائج قيمة للجدل في الفيزيولوجية وعلم النفس والبيولوجيا وهي هو الطرق العلمية التجريبية . وقال إن المعرفة والمادة كتبهما تحمل خبرة ما صالحة للاستعمال في موقف آخر ولكن المعرفة غير مقيدة كالمادة لأن المادة ثابتة لا تقيم وزناً لتغير الاحوال والتجدد فكان المعرفة تتضمن اختيار مادة من مجموعة كبيرة من المادات فهي ادراك علاقات الشيء التي تحدد قابليته للتطبيق في موقف ما . وهي وان كانت تشمل الواقع فعلاً وتعتمد على الماضي إلا أنها تستند الى المستقبل وليست كاملة في ذاتها

﴿ الأخلاق ﴾ ان ديوي لا يفصل بين الباعث الخلقي وبين نتيجته العملية أو العمل الخلقي ذاته فهما مشتركان وأحدهما ينتقل من الشك والانقسام الى التجدد ومن التوتر الجسمي الداخلي الى العمل الصريح المحدود . والباعث هو كالتفكير أي أنه عمل في دور التكوين وهو التشكل الذهني أو الشخصي المتضمن في نشاط الفرد في المواقف الماضية . والفصل بين الباعث والعمل نتائج

سيئة كإسراف الفرد في الأحلام دون الأعمال وانتشار روح التصوف في المجتمع وقصر الصفة الخلقية على المثل المجردة دون الاعمال المحسوسة مما عارضهُ مذهب المنفعة بتبيينه منزلة العمل . وثمة تعارض آخر يقوم بين العمل الخلقي الصادر عن مبدإ والعمل الصادر عن المصلحة الشخصية والخلاف في أيهما أساس السلوك الاجتماعي : الأنانية أو التضحية . ويقول ديوي اذا أدركنا ان الذات ليست شيئاً قائماً وانما هي شيء في حالة تكوين مستمر بواسطة اختيار العمل ، زال التناقض والتعوض . فقيام الانسان بعمل محفوف بالمخاطر معناه أنهُ « وجد نفسهُ » في ذلك العمل فمن الخطإ الفصل بين الذات والمصلحة فهما اسمان لشيء واحد ومقدار الاهتمام يدل على مقدار الذاتية ، وانكار الذات ليس معناه انعدام الاهتمام أو المصلحة . ويعترض ديوي على النظرة الضيقة للاخلاق وهي التي تقصرها على الفضائل . فالأخلاق واسعة سعة الاعمال التي تخص علاقتنا بالغير لان كل عمل يعدُّ اجتماعيًّا وان لم نفكر في نتائجه الاجتماعية وقت عمله ، فهو يعدّل عاداتنا التي تؤثر في علاقتنا بغيرنا . أما تمييز الفضائل فلأنها مركزية تشمل غيرها من الاعمال لا لأنها منعزلة بذاتها

ولا ننسى أن الخير المطلق أو الكمال المطلق لا يقرّه ديوي . فالغرض الخلقي يختلف باختلاف الفرد والزمان والمكان والشيء الوحيد الذي هو خير عام هو النمو وعلى ذلك فالشرير هو من أخذ يسير في طريق النقص فيصبح أقل خيراً مما هو مهما تبلغ طيبته والخيّر على الضد هو من يسير في سبيل التحسن مهما يكن مبلغ شرّه . وقد قيل أن هذا الراي يجعل الانسان صارماً في الحكم على نفسه رفيقاً في الحكم على غيره

﴿ السياسة ﴾ لم يفرد ديوي في مؤلفاته بحثاً خاصًّا بالسياسة ولكن في تضاعيف كتبه وفي مواقفه من المشكلات السياسية والاجتماعية في بلاده والعالم يتضح مذهبه في السياسة

وضع ديوي معيارين للمجتمع . أولهما : التواصل بين أعضائه . وثانيهما : التواصل والتعاون مع غيره من المجتمعات . ولم يجد نظاماً ينطبق عليه هذان الشرطان إلاّ النظام الديموقراطي الذي يراه أكثر من نظام سياسي ، ويجعله أسلوباً للحياة وعلى أساسه وضع آراءه في التربية لأن التربية وظيفة اجتماعية ومن الممتنع التحدث عن التربية دون أن نستند الى نوع المجتمع الذي تقوم فيه وتهيء له

وقد ناصر ديوي الديموقراطية مخلصاً حتى بعد أن قامت النازية هنا وهناك أنظمة حديدية كالشيوعية والفاشية وتمكن اخلاصه فلم يمنعه من النازية في حزم وقوة باصلاح مساوئها . والمدرسة من أدوات هذا الاصلاح الاجتماعي فلا يجب أن تبدو فيها مساوىء المجتمع . ومن أجل ذلك دعا الى [illegible] الاجتماعي الجديد باستغلال الاضواء للضعفاء كاستغلال

الرأسماليين للصناع، وأصحاب الثقافة لأصحاب المهن، ومهاجمته الحواجز التي تفصل بين الطبقات الاجتماعية أو بين العقول المختلفة، وقوله بضرورة تثقيف العمال بالصناعة العلمية حتى لا يكونوا مجرد أدوات مسخرة دون ارادة. والسبيل الى ذلك أن يحب الفرد عمله ولا يكره عليه في سبيل الكسب ويكون ذلك بادراكه معنى أعماله وهذا الادراك يتوقف على الخبرة الحرة. وحبّ الانسان لعمله كان وقفاً على المشتغلين بالعلم أو الفلسفة فجعله ديوي حقًّا لكل انسان كما جعلهُ أساساً لتجديد المجتمع

وقد نادى ديوي كذلك بحق الانتخاب للمرأة وساعد الرئيس ولسن بقلمه في الحرب الماضية ولكنه اشترك بعدها في الدعوة الى مواثيق السلم العالمية. واهتم بالتحارب الاجتماعية في المكسيك والصين وتركيا وروسيا. وناصر العدالة في قضايا هامة واجه فيها الرأي العام كما واجههُ اميل زولا من قبل. وقد علل ديوي عجز الديموقراطية باستمرار تغلب مصلحة الحاكم بالرغم من قيام حق الانتخاب. وبانضمام الحكام الى القوى الاقتصادية لحماية الملكية الفردية. ويرى أن تستخدم العلومُ الاجتماعية طرق العلوم التجريبية كالطبيعة حتى تصبح اداة صالحة لتنظيم المجتمع القائم على الحرية والتعاون ولسدّ الثغرة التي تفصل بين مقدرتنا على استخدام الطبيعة وبين عجزنا عن معرفة الشروط اللازمة لتحقيق القيم الممكنة في الحياة. وينسب ديوي الى هذه الثغرة كل ما يعتري حضارتنا الراهنة من خلل واضطراب. وفي حين أن G. Tarde يرى ان التقليد هو أساس المجتمع يخالفه ديوي فيقول ان تشابه أعمال الافراد لا يرجع الى التقليد الشعوري أو اللاشعوري بل الى أن غرائز الأفراد واحدة

٣ — ﴿ آراء ديوي في التربية ﴾ سنلخص فيما يلي أهم نظريات ديوي في التربية معتمدين على نظرياته الفلسفية السابقة فهو قد جمع بينها جمعاً مثمراً. وقد قال كلاپاريد أن التربية عند ديوي مثل سيكولوجيته تمتاز بأنها دينامية ووظيفية واجتماعية. ووصفها فندلاي بأنها تكوينية تحليلية. وفي الحق ان معظم النزعات الحديثة في التربية إن لم تقل كلها تتفق عرضاً أو قصداً مع نظريات ديوي. وان كلاپاريد على حق في قوله ان نظريات ديوي في التربية لا تتأثر عما يعلق بفلسفة البراجماتزم من شوائب

﴿ الاهتمام بالطفل ﴾ لم يكن ديوي أول من قال به فقد سبقه اليه روسو وهربارت في نظرية الميل ولكن أثر هربارت في مذهب الاهتمام بالمادة والطريقة وتكملة الخطوات الخمس[1] وعلى ذلك فقد واجه ديوي نظريات حيالية تقول بالاهتمام بالطفل ويحتذيها الجميع لأن المدرسة كانت لا تزال تهتم بالمادة والاستذكار وترى مهمتها ضخمة على نقل المعرفة فقال

(١) خطوات هربارت هي التهيئة والعرض والربط والتطبيق والتعميم وهذه تقابل الخطوات الخمس التي ذكرها ديوي والتي سبق ذكرها في هذا البحث

عن سيكولوجية هربارت انها سيكولوجية المدرس في الفصل . ولم يكن هناك خيراً من البرجماتزم للقضاء على هذا التناقض بين النظر والواقع فثار عليه ديوي في كتبه ومدرسته التجريبية في شيكاغو

﴿ التعلم بالعمل ﴾ نظر ديوي الى التربية من نواحٍ كثيرة على انها ضرورية للحياة والمجتمع وعلى انها ارشاد ونمو وتجديد ونقد هذه النظرات وحللها تحليلاً دقيقاً وجعل اساس التربية « التعلم بالعمل » وعدّها نمواً واعادة بناء الخبرة وانها غاية في ذاتها فقضى بذلك على الاغراض المحدودة الجامدة في التربية المتعارضة احياناً وجعل اساسها النشاط ذا الغرض او القصد purposeful activity

﴿ التفكير ﴾ بين ديوي في كتابه « كيف نفكر » خطوات التفكير الخمس وهي (١) الشعور بقيام صعوبة أو نشوء مشكلة (٢) تحديدها وتعريفها (٣) اقتراح الحلول الممكنة لها (٤) التوسع في نتائج هذه المقترحات بوساطة الاستدلال (٥) التوسع في الملاحظة والتجريب المؤديين الى القبول أو الرفض

وفكرة Riner عن الذكاء تؤكد ثلاث ميزات هامة لعملية التفكير ١ — النزعة الى اتجاه محدد والاحتفاظ به ٢ — القدرة على القيام بالتشكل بغية الحصول على الغاية المطلوبة ٣ — القدرة على نقد الانسان لذاته . فكأن عناصر الذكاء عند بينيه تشبه خطوات التفكير في نظر ديوي

أما طريقة المشروع Project Method فهي طريقة في التربية تلقي عبء التعلم على عاتق التلميذ ولا يتولى المدرس إلاّ إرشاده من وراء ستار . وهي لا تعترف بالفصل بين المواد الدراسية ، بل يختار التلاميذ موضوعاً أو (مشروعاً) اهتموا به ويدرسونه من كافة نواحيه ولذلك يقف التلميذ في دراسته للمشروع موقف المفكر من المشكلة ومن هنا كان الاتفاق بين خطوات التفكير لديوي وطريقة (المشروع)

﴿ الميل والجهد ﴾ فسر ديوي الميل على انهُ العلاقة بين العقل والمادة Inter-est وأنهُ مضمن في كل عمل انهُ غرضٌ يؤكد فيهِ حيناً اللون الوجداني الذي يصحب العمل وحيناً آخر الجهد اللازم لتحقيق الميل ، فالميل والجهد وجهان للعمل لا ينفصلان . واذا ثبت ذلك فليس هناك ما يدعو الى تحلية مادة الدراسة بطرق صناعية خارجية حتى تكون مشوقة بل يجب اعداد البيئة التي يجد فيها التلميذ الاعمال النشطة التي يدرك الغرض منها . وبذلك قضى ديوي على تعارض الميل والجهد وعلى انفصال العقل عن الطريقة . وفي مقاله عن « الميل وعلاقته بتربية الارادة » عرف الميل بأنه منجه الى الخارج وانهُ موضوعي وذاتي وانهُ اذا ارتبطت الوسائل والغايات في الشعور لم تعد ثمة حاجة الى المراقبة الخارجية للميل . وفضلاً عن ذلك فقد بيّن الآثار الخلقية المذمومة لانوتاط الميل بمكافأة اليوم والانعام . وقد

اتهم ديوي بأنهُ من انصار التربية اللينة ولاشك ان هذا الاتهام خاطىء يقوم على عدم فهم نظريته في الميل وهي نظرية تتفق مع فكرة الطفل كمركز في التربية وقد كان لها أعظم تأثير في المناهج الحديثة

﴿ المدرسة كمجتمع ﴾ كما تقدم المجتمع اتسعت الهوة بين التربية الشكلية المقصودة في المدرسة والتربية غير الشكلية أو العرضية التي يقوم بها المجتمع . فالمدرسة يجب أن تكون صورة مصغرة من المجتمع الاكبر ومرآة لحياته، وتمدّ له بل والمجتمع خير منهُ على انها يجب أن تكون نقية من مساوىء المجتمع ووسيلة للاصلاح الاجتماعي . ومع ان ديوي رفض أن يقول بأغراض محدودة للتربية وقال بأن التربية هي غرض في ذاتها فان هذا الغرض الاجتماعي يلوّن آراءه في التربية تماماً . وقد بين السبيل للوصول اليه في نقده الأنظمة القديمة . فاعطاء الحرية والحكم الذاتي للتلاميذ وسائل للتربية الخلقية والاجتماعية ولا قيمة لها اذا كانت نشاطاً خارجاً عن المقرر الدراسي بل يجب أن تكون من صميم نظام المدرسة والتوجيه الذاتي في السبل الاجتماعية هو أساس التربية الخلقية والاجتماعية ولا قيمة للتعليم الشكلي فيهما لأنهُ يفصل التعليم عن العمل ولا يثير التفكير الذي هو أساس الخبرة والتعلم

﴿ التربية الخلقية والاجتماعية ﴾ وفّقت الأخلاق في المجتمع والمدرسة بين منزلة الباعث ومنزلة العمل فلابد من النيّات الحسنة والاعمال الطيبة ، فهمت أم لم تفهم. ولاعلاج للاضرار الناشئة من ذلك إلاّ بالنشاط المتتابع المتجمع الشامل للاهتمام والباعث على التفكير والمؤدي الى نتيجة لا أثر فيها للآلية أو للاملاء أو للاهواء العارضة . وعدُّ المعرفة الخلقية شيئاً قائماً بذاته معتمداً على العقل المجرد كما قال كانت أدى الى عدّ التربية الخلقية وحدها عديمة القيمة والى ان كسب المعرفة وهو أهم ما يشغل المدرسة لا علاقة له بالأخلاق. ولذلك اقتصرت التربية الخلقية على دروس الاخلاق أي على معرفة ما يظنهُ الغير خلقاً وفضائل . وقيمة هذه الدروس محدودة باستعداد التلاميذ لمراعاة عواطف الغير وفيما عدا ذلك لا قيمة لها ومن أضرارها انها تزيد في اعتماد التلاميذ على غيرهم وتلقي على الكبار وحدهم مسئولية السلوك . واقتصار الاخلاق على الفضائل دون أن تشمل جميع الاعمال الاجتماعية أدى الى فصل الصفة الاجتماعية عن الصفة الخلقية في السلوك في حين انهما شيء واحد اذا تذكرنا ان للتربية وظيفة اجتماعية وان المنهج وغيره تقاس فائدته بما فيه من روح اجتماعية . وأكبر الاخطار التي تهدد المدرسة خلوها من الروح الاجتماعية وهذا الخلو هو ألد أعداء التربية الخلقية فالميول الاجتماعية لاتنمو إلاّ في وسط اجتماعي صحيح أي بالتعاون في بناء خبرة حرة مشتركة ذات غرض يدركه الفرد

قال Goblot في مقدمة كتابه في المنطق : ان الروح العلمية ليست في النهاية إلاّ صفات خلقية . وكذلك الحال في قيم التربية فهي جميعها صفات خلقية لا تنمو إلاّ في وسط اجتماعي

﴿ خاتمة . تأثير ديوي ﴾ سبق القول بأن آراء ديوي تتفق مع الحركة الحديثة في التربية ولكن يصعب تحديد نصيبه في هذه الحركة سواء في بلاده أو في خارجها . وقد علل فندلاي انفراد أميركا بهذه الحركة الحديثة بأنها أقل البلاد تأثراً بالتقاليد أو المركزية التي طغت على التعليم الاوروبي ومناهجه منذ ظهور الحركات القومية الى ما بعد الحرب الماضية . أضف الى ذلك عقيدة الاميركيين في تأثير المدرسة ولاسيما في تحويل التلاميذ من أصل غير اميركي الى مواطنين اميركيين . وقد دل تحويل الجمعيات الهربارتية الى الجمعية الوطنية للدراسة العلمية للتربية في ١٩٠٢ على انتهاء تأثير المربين الالمان كهربارت وتلميذه Rein

أما في اوربا فقد بدأ التأثر بديوي متأخراً لانعدام الثقة بالفلسفة الاميركية ولا سيما في البلاد التي لا تتكلم الانكليزية وقبل أن تترجم مؤلفات ديوي الى لغاتها غير أنهُ يمكن القول ان الحركات الاجتماعية التي سبقت الحرب الماضية أو أعقبتها وجهت انظار المربين وغيرهم الى منزلة التربية ووجّهت أنظارهم الى آراء ديوي

وفي اميركا شملت حركة التجديد توسيع المناهج الابتدائية بعد اقتصارها على القراءة والكتابة والحساب وعدّها التعليم في المرحلة الابتدائية لا يختلف في النوع عن التعليم في المراحل الاخرى وهو لا يهيّئ لغيره . وظهرت المدارس التي أطلق عليها junior high schools واتسعت حركة التجريب وظهرت طرق كثيرة وتغيرت الكتب الدراسية وتنوعت وقل الاعتماد عليها بالقياس الى النشاط وانتشرت روح الحرية في المدرسة حرية التلميذ وحرية المدرس الذي أصبحت العناية باعداده تعدل العناية ببناء المدرسة وتأثيثها بما يتفق مع روحها الجديدة . ولكن المدرسة الثانوية كانت أقل تأثراً بالحركة الجديدة . واذا كان يصعب تحديد نصيب ديوي في الحركة العملية الجديدة فنصيبه العلمي فيها واضح بدأه بمدرسته التجريبية في شيكاغو واتسع به مؤلفاته التي أجملنا أهم آرائها

ولنا أن نقف متأملين عند قول فندلاي : ان انتشار آراء ديوي يرجع الى اننا من أتباع البرجماتزم (النزعة العملية) دون أن نشعر ، والى اننا نعتقد ان الطفل عملي بطبعه والى أن العملي ينجح في تحليله نفسية الطفل حيث يخفق غيره

ولعل فقد بيّن ديوي ما يمكن ان تقوم به الفلسفة في حياة الفكر والواقع . وهو خير مثل لمن يقنون الفلسفة جدلاً لفظيًّا أو تأملاً صوفيًّا